تمصير الإخوان

ليس لدى قيادة الإخوان أى تفسير عقلى مقنع للمحنة التى أوصلوا إليها جماعة كبرى يزيد عمرها على خمسة وثمانين سنة، ثم انتهت إلى محنة «العزلة الشعبية» بامتياز، والفشل المذهل فى السياسة، والكذب المزمن فى الأخلاق، وتعليق الإخفاق على شماعات من نوع هجمة الإعلام أو «الدولة العميقة» فى مصر، بل إن هذه الشماعات ذاتها تكشف إلى أى مدى وصل إليه الضعف العقلى لهذه القيادة الكسيحة، فهى قيادة لاتعرف مصر على الإطلاق، وتصورت - بغباوة مفرطة - أنها قد تنجح فى حكم بلد تجهل تاريخه وقواه الحية.

وبالطبع، فلسنا مع اضطهاد شخوص قيادة الإخوان، ولا التعسف فى معاملتهم أمنيا، فالحرية لا تتجزأ، ولابد فى كل الأحوال من ضمان تحقيقات منصفة ومحاكمات عادلة فى جرائم الحق العام، والتى وصل بعضها إلى جرائم «خيانة عظمى»، فوق جرائم القتل والإرهاب، والتورط فى التحريض على قتل عشرات من شباب الإخوان بدفعهم إلى المحرقة، ولمجرد تغطية أخطاء وخطايا قيادة بائسة، تتصور أن بوسعها تزوير حقيقة ما جرى، أو دمغه بصفة «الانقلاب العسكرى» على شرعية موهومة كانت لمحمد مرسى المعزول بأمر أعظم وأضخم ثورة شعبية فى التاريخ الإنسانى بإطلاق عصوره، وقد نصحناهم مرارا فلم يلتفتوا، نصحنا مرسى بالتنحى بعد فقدان شرعيته كرئيس منتخب مع إصدار إعلانه المنكود فى ٢١ نوفمبر ٢٠١٢، ونصحناه باللجوء إلى انتخابات رئاسية مبكرة حفظا لماء وجهه، لكن الرجل الذى ظلمته قيادته الإخوانية كان قليل الحيلة، واعتصم مع قيادته الركيكة بالإنكار والكبر، وتصور أن مصر هى «حارة حرنكش»، أو أنها قد «تأخونت» وانتهت، ولم يدرك أبدا أن نفخة ريح الشعب

المصرى كافية لخلعه، وأن الجيش المصرى لا يمكن أن ينفصل أبدا عن حس الشعب المصرى، وأن مصر هى مقبرة الغزاة، وقد تعامل معها الإخوان كغزاة، فحقت عليهم اللعنة وحكم القبر.

وما من إمكانية بعد المحنة لقيام تنظيم إخوانى جديد إلا بشروط صارمة، أهمها - فيما نظن - أن يتصالح الإخوان مع مصريتهم، فالمصرية ليست مجرد سكن ولا جنسية، والوطنية المصرية ليست مجرد علم ونشيد، الوطنية المصرية عقيدة جامعة، وثوابتها مشتقة من جغرافيا عبقرية وتاريخ ضارب بجذوره إلى آلاف السنين، وقد غيرت مصر لغاتها وأديانها مرات، وعرفت عقيدة التوحيد قبل نزول أديان السماء، وظلت قادرة على امتصاص الأفكار، ومزجها بروحها العفية المتفتحة، واكتساب التعريب بحاسة الأمن قبل فتح عمرو بن العاص، أى أنها تعربت بعقائدها الأمنية قبل أن يتعرب لسانها مع اكتساب العقيدة الإسلامية، وهو ما يفسر طبيعة دور مصر الحاسم المركزى فى صد غزوات التتار والمغول والصليبيين، فلم تكن مصر أبدا دارا لخلافة، بل كانت مصر فى ذاتها هى الخلافة، وثلاثية الأمن والدين والعدل هى التى تحكم دورها. وتجعلها قادرة دوما على بث إشعاعها وبسط حمايتها ولعب دور المغناطيس الجذاب، وقد تتعرض مصر لدورات ضعف تطول أحيانا، لكنها تعود فتنهض كقوة كاسحة، فمصر تبدو هادئة كصفحة النيل، لكنها فى لحظة تتحول إلى بلد داهس كأقدام الفيل، وقد استهانت قيادة الإخوان بقوة مصر الكامنة، وتصوروا أن بوسعهم « أخونة» مصر، أو وضعها فى قبقاب الأخ المرشد، وبلغ الحمق وضعف العقل بمرشد سابق للإخوان أن قال: «طظ فى مصر»، كان مرشد «طظ فى مصر» - مهدى عاكف - مجرد مدرس ألعاب، وكان مرشد «أخونة مصر» - محمد بديع - مجرد طبيب بيطرى، لم يعرف أحدهما عن التاريخ المصرى شيئا، وليس بوسعه أخذ الدروس والعظات، والاثنان من أبناء «جيتو» إخوانى تصور أن بوسعه غزو مصر، وبأفكار صحراوية بدائية، وبغرور تملكهم مع تفشى النفوذ

الإخوانى عبر أربعين سنة مضت من الانحطاط التاريخى، ولم يدركوا أن لحظة الفوات العقلى والوجدانى للمصريين لن تستمر طويلا، وأن إفاقة المصريين من غيبوبة الأربعين سنة بدأت متدرجة عقب الموجة الأولى للثورة الجارية فى ٢٥ يناير ٢٠١١، وأن صدمة الحكم الإخوانى العابر سوف تكمل عملية الإفاقة من الغيبوبة، وهكذا صحت مصر على وقع خطر «الأخونة» البدائية الجهولة، والتى لم تجد زادا تسترشد به سوى اختيارات الانحطاط الموروثة عن زمن مبارك، وإعادة إنتاج المأساة نفسها، وبكفاءة متدنية وشبه منعدمة، وبروح تكويش واستحواذ على مفاتيح المال والسلطة، وبتصور عظيم البؤس، تخيل أنه يمكن ابتلاع مصر فى بطن جماعة، وكان الفشل حتميا، ثم كان العزل وجوبيا، ولم يقتصر على عزل رئيس فاشل، بل تطور إلى عزل شعبى كاسح لجماعة وصلت إلى أرذل العمر، ووصلت قيادتها إلى أرذل الضعف والعجز العقلى والوجدانى، ودون أن تدرك أن «أخونة مصر» مستحيلة، وأنه لا أمل للجماعة فى البقاء بغير «تمصير الإخوان» وتطليق أوهام الأخونة إلى الأبد.

نعم، الإخوان فى محنة غير مسبوقة فى طبيعتها، وكل تضحيات أجيالهم تذهب هدرا، ولا فرصة للخروج من المحنة بالعناد والكبر والإنكار، أو طلب معونة أمريكا وإسرائيل على نحو ما فعلت قيادة الإخوان، فكل ذلك مما يرديهم أكثر فى المحنة والخطيئة، ويزيد فى عزلتهم عن المصريين الذين ينفرون الآن من مجرد ذكر كلمة «إخوانى»، ثم أن التورط فى عمليات إرهاب، أو ارتكاب جرائم اغتيال سياسى، كل ذلك مما يزيد فى محنة عشرات الألوف من شباب وشابات الإخوان، والذين يجرى دفعهم إلى محرقة بأوامر قيادة ضالة مضلة، لا تريد لشباب الإخوان أن يلتفتوا إلى العلة الحقيقية فيما جرى ويجرى، ولا أن يعرفوا مصدر الخطر الذى دمر شعبية كانت للإخوان، فمصدر الخطر هو القيادة الأعظم بؤسا فى تاريخ الجماعة، والتى تريد أن تذبح شباب الإخوان على مذبح

مطامعها وامتيازاتها، فلشباب الإخوان أن يسألوا أنفسهم قبل غيرهم، وأن يفكروا لأنفسهم قبل أن يفكر لهم أحد، ولو تساءلوا لعرفوا أصل العلة فى الفشل، لو تساءلوا عن اسم الرجل الأقوى فى قيادة الإخوان لوجدوا أنه خيرت الشاطر، ولو تساءلوا عن مؤهلاته لعرفوا أنه ليس فقيها ولا مفكرا ولا سياسيا ولا كاتبا ولا خطيبا مفوها، وأنه مجرد رجل بيزنس و«زكيبة فلوس»، ولو تأملوا فى هذه الحقيقة المعروفة مليا لعرفوا كيف تنظر لهم قيادة الإخوان المتظاهرة بالورع والتقوى، والتى تدفعهم للموت طلبا للاستشهاد الزائف، ودون أن يستشهد رجال القيادة، لا هم ولا الأبناء والبنات ولا الحواريون، فالقيادة فى واد آخر مشغولة بالأملاك والشركات والعقارات، ومراكز القوة فى الجماعة هى نفسها مراكز البيزنس، انظروا - مثلا - إلى خيرت الشاطر ومليارته وسلاسل محلاته التجارية، وانظروا إلى أملاك بناته، ثم انظروا إلى الشبكات الرأسمالية لعائلات الإخوان الصديقة لعائلة خيرت الشاطر، وهؤلاء - من جماعة البيزنس - ينفقون الفتات، ويتعاملون كمقاولى أنفار مع شباب الإخوان، ويدفعونهم إلى الموت حفظا لمصالح وامتيازات ومليارات هى من عروض الدنيا لا من مقاصد الدين، وهنا بيت الداء بامتياز فى محنة شباب الإخوان، وما من دواء للداء بغير خلع السمع وطاعة النفوس لقيادة الفلوس.

"صوت الأمة" فى ١٥ من يوليو ٢٠١٣